رؤية العالم لدى المتصوفة وتأثيرها على حياتهم الاجتماعية

إعـــــــداد

أسماء محمد حسن ربيع

مدرس مساعد بالقسم

إشـــــراف

أ.د / علياء رضاه رافع

أستاذ علم الاجتماع

كلية البنات- جامعة عين شمس

أ.د/ عالية حلمى حبيب

أستاذ علم الاجتماع

كلية البنات – جامعة عين شمس

المقدمة :-

للدين دور واضح في مجتمعات العالم عامة والعالم الإسلامي خاصةً، حيث يتضح أن الدين الإسلامي في المجتمع العربي لعب دوراً واضحاً وكبيراً في تحديد الهوية الحضارية لهذا المجتمع، فهو لا يمثل هامشية في الحياة اليومية، يمارسه الأفراد كما يمارسون الأنشطة الآخرى، بل أنه نشاط جوهري، وأساس يسعى الفرد لتمثل قيمه والمحافظة عليه ورفض ما يتعارض معه فكراً وعملاً[١].

والتصوف كاتجاه ديني يفرز نموذجاً معرفياً وقيمياً واتجاهات معينة لها انعكاسات في الحياة الاجتماعية، فبالتالي يعد في أحد جوانبه ظاهرة اجتماعية، ولهذا حظى موضوع التصوف باهتمام كبير من الباحثين والدارسين في ميدان العلوم الدينية، إلا أن جهود هؤلاء الدارسين كانت تنصب دائماً على دراسة أصول العقائد والأديان، ولم ينصب الاهتمام على أثر الدين والمعتقدات الدينية على الحياة الاجتماعية[٢]. والتصوف ليس مجرد اتجاه فكري، ولكنه أيضاً يتجسد في تكوين اجتماعي من خلال ما يسمي بالطرق الصوفية، حيث أن لكل طريقة بناء هيكلي وتنظيمي، ودور في تشكيل وعي وسلوك الأفراد المنتمين إليها. وعلى أساس هذا ظهرت فئة اجتماعية مع تعدد مقاصدها وطرقها وتوجهاتها سميت بما يعرف بالطرق الصوفية تاركة بصماتها في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمعات الإسلامية التي خضعت لتبدلات وتحولات رافقت ما مرت به هذه المجتمعات وغيرها[٣]. ومن هنا أضحت الطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية لا يمكن إهمالها.

وعلى الرغم من اهتمام الأدباء والفلاسفة بالصوفية والمتصوفة إلا أن حقل الدراسات الاجتماعية لا يزال يحتاج إلى بذل جهد أكثر لوضع هذه الظاهرة تحت مجهر البحث، بعد أن فارقت صوامعها وأصبحت ظاهرة اجتماعية امتزجت في بعض الأحيان بالفلكلور الشعبي[٤]. **وبناء على ذلك جاء اهتمام البحث الحالي** بالتركيز على بعد جديد وهو دراسة رؤية العالم للمنتسبين لإحدى الطرق الصوفية، وتأثيرها على سلوكهم واتجاهاتهم سواء داخل الطريقة الصوفية أو خارجها في الحياة الاجتماعية الأكبر. حيث وجدت الباحثة أن أغلب الدراسات العربية التي تناولت التصوف كانت تتبع مجال العلوم الدينية، فكانت تدرسها من الناحية العقائدية وليس من الناحية الاجتماعية، والقليل التي وجدته منها ضمن العلوم الاجتماعية، كانت تركز علي دراسة الهيكل التنظيمي للطريقة الصوفية والبناء الاجتماعي لها، ولم تتطرق أي من الدراسات لدراسة الصوفيون أنفسهم ومعرفة رؤاهم عن العالم وتأثير هذه الرؤية على حياتهم الاجتماعية، فكان ذلك دافع وحافز كبير ورغبة معرفية لدى الباحثة أن تتناول هذا الموضوع من ذلك الجانب وهذه الرؤية المعرفية التي لم يتناولها أحد من قبل.

---

[١] **أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٩٩، ص ١٢.**

[٢] **حوليات كلية الأداب، الاتجاه نحو الدين، الحولية الثانية عشر، الرسالة السابعة والسبعون، مجلس النشر الصحفي، جامعة الكويت، ١٩٩١، ص٢٨ .**

[٣] **معتوق جمال، و بن فرحات، ظاهرة التصوف الإسلامي،: بحوث في التغير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ٢٠١٣،ص١٦.**

[٤] **زكريا سليمان، الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة،ط١، ١٩٩٠، دار الصحوة، القاهرة، ص١٧٨.**

أولاً: أهمية البحث

أ-الأهمية النظرية:

تكمن الأهمية النظرية للبحث في اعتباره محاولة لإثراء دراسات علم الاجتماع الديني في أحد الموضوعات الهامة، وهو الفكر الصوفي والطرق الصوفية، ودراسته من منظور سوسيولوجي، حيث ندرة الدراسات التي تناولت التصوف والصوفية من منظور اجتماعي. وتتمثل أهميتها النظرية أيضاً في محاولة المزاوجة بين الاتجاه المعرفي الإدراكي والاتجاه التفاعلي والاتجاه التأويلي في دراسة التصوف والصوفية، حيث وجدت الباحثة أن أغلب الدراسات عن التصوف انطلقت من الاتجاه الوظيفي، فلذلك تمثل المزاوجة بين هذه الاتجاهات أهمية قصوى لأهداف الدراسة الحالية. وتأتي أهميتها أيضاً في تطرقها لدراسة بعد جديد لم تتناوله أي من الدراسات السابقة عن التصوف والصوفية، وهو رؤية العالم حيث الكشف عن رؤيتهم لذاتهم وللأخر وتأثير هذه الرؤية على سلوكهم واتجاهاتهم.

ب-الأهمية التطبيقية:

تتمثل الأهمية التطبيقية للبحث الراهن في ما يمكن أن يصل إليه من نتائج قد تساهم في تقديم رؤية واقعية معرفية عن التصوف والصوفيين، وعن حياتهم المعايشة، ورؤاهم للعالم، ومدى تأثير هذه الرؤية على حياتهم داخل الطريقة الصوفية وخارجها في الحياة الاجتماعية، كما أنها تكشف الستار عن إحدى التنظيمات التي توجد في المجتمع وهي "الطريقة الصوفية" لمعرفة هيكلها وتنظيمها ودورها في حياة المنتسبين لها، ومعرفة مدى قربها أو بعدها من منظمات المجتمع المدني الموجودة في المجتمع أم أنها لها طبيعة خاصة، وتقتصر على أتباعها.

ثانياً : أهداف البحث الرئيسية وأهم تساؤلاته :

يتمثل **الهدف الرئيسي** لهذا البحث في محاولة الكشف عن رؤية العالم لدي المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية، بما تتضمنه هذه الرؤية من (رؤيتهم لذاتهم- رؤيتهم للآخر-معتقداتهم وقيمهم وأفكارهم عن الطريق الصوفي)، وتأثير هذه الرؤية على اتجاهاتهم وسلوكهم في الحياة الاجتماعية الأكبر. وينبثق من هذا الهدف الرئيسي عدة تساؤلات وهي:

١. كيف يؤثر الفكر الصوفي على رؤية المريدين لذاتهم وللآخر؟
٢. ما هي أهم المعتقدات والقيم والأفكار السائدة بينهم؟
٣. ما هو سلوكهم وتفاعلهم مع بعض داخل الطريق الصوفي؟
٤. ما هي اتجاهاتهم وسلوكهم في الحياة الاجتماعية الأكبر؟

ثالثاً : الإطار النظري للبحث :

لتحقيق الهدف من البحث كان لابد من الانطلاق من إطار نظري أعم وأشمل يخدم هدف البحث ويكون موجه لجمع المادة وتحليليها، ومن هنا انطلق البحث من المزاوجة بين عدة اتجاهات نظرية متداخلة، وتحقيق التكامل بين بعضها لخدمة أهداف البحث، وهي:

أولاً: الاتجاه الفينومينولوجي ، ثانياً: الاتجاه التأويلي لجيرتز، ثالثاً: الاتجاه التفاعلي الرمزي

فقد أتاح الاتجاه الفينومينولوجي في توجيه الاهتمام بالمفاهيم والتصورات والرؤى التي يكونها الأفراد عن أنفسهم وعن العالم المحيط بهم وعن الآخر المختلف عنهم، في ضوء خبراتهم وتجاربهم الذاتية والشعورية الداخلية، وهو ما يسمح بإمكانية تناول تصورات ورؤى مريدين الطريقة الصوفية، وصياغاتهم حول خبرتهم وتجربتهم وحياتهم الصوفية، بما تحمله من معاني وممارسات ومعتقدات وقيم

وأفكار تُتَرجم في شكل سلوكيات وأفعال. وكيفية تأثر هذه الرؤية بالفكر الصوفي الذي يعتنقوه، وكذلك تأثير هذه الرؤية على سلوكياتهم وحياتهم سواء داخل الطريقة أو في الحياة الاجتماعية الأكبر.

حيث أن ظاهرة التصوف تعبر عن نفسها بشكل مباشر في الشعور، فتهتم الظاهراتية هنا بالتجربة والخبرة الذاتية للصوفي، والتي تتضمن الشعور والإدراك والمشاعر والآراء حول التصوف وممارساته.

كما أتاحت نظرية "جيرتز" في الدين حيث عرّف الدين على أنه نظام من الرموز يعمل من أجل تكوين نموذج للحقيقة الكلية تؤثر على التفاعل اليومي في الحياة وتبني حالة نفسية جمعية ethos. وهو ما أتاح للباحثة احتواء أتباع الطريقة الصوفية بالفهم والوصف والتحليل في إطار تفاعلهم ومن واقع سلوكهم واتجاهاتهم سواء داخل الطريقة أو خارجها، حتى يتسنى لها إزالة الغشاء الكثيف الذي يغطي سلوكهم وممارساتهم واتجاهاتهم. وهذا ما أطلق عليه "جيرتز" الوصف الكثيف أي تفسير الباحث القائم على تفهم نظر الفاعل وهو ما أطلق عليه "مقاربة تأويلية"، يصبح فيها الفهم التأويلي حوارا متصلا بين الذات والموضوع، ويستطيع الباحث من خلاله كشف أوجه آخرى ومتعددة من الحقيقة. فمفهوم "جيرتز" عن التأويل هو اعتباره فن إدراك وتحديد المعنى المختبئ في الكلام والأحداث، وهو يرى أن جوهر عملية التأويل تتركز في الكشف عما يكمن خلف القول أو الفعل من دلالات ومعاني والتعمق في المواقف والرؤى بحيث نكشف عن آفاق للمعاني لا ندركها من مجرد النظرة الظاهرية الخارجية أو الوصف الخارجي، وإنما نركز على رؤية معنى القول أو رؤية العالم من الداخل. حيث أن كل قول أو إشارة أو حركة أو فعل هو في الواقع رمز له دلالاته التي لا يمكن تفهمها إلا في السياق العام[١].

ولقد اعتمدت الباحثة على التكامل بين الاتجاه الفينيومينولوجي لهوسرل، والاتجاه التأويلي كما عرضه جيرتز في مصطلح "الوصف السميك" Thick description ، وهو جزأ لا يتجزأ من التأويل الفينومينولوجي، حيث سيساعدنا هذا التكامل على رصد وتحليل الدلالات المختلفة لتجربة المريد الصوفي وتفاعله في الطريقة الصوفية وخارجها، وكذلك سيساعدنا على فهم التجربة المعيشية من منظور الفاعلين (المريدين) أنفسهم، مع التركيز على كيفية تفسيرهم لتجربتهم وما تعنيه لهم، حيث يتناول منظور المبحوث من الداخل بجانب الاهتمام بمنظور الباحث ورؤيته أو تأويله، ومن هنا كانت التسمية **"فينومينولوجي تأويلي.** فتحاول الباحثة في هذا البحث الولوج إلى العالم الشخصي للمريد والاهتمام برؤيته لذاته ولعالمه بشكل كلي، وإعادة بناء هذه الرؤية في سياق تجربته الصوفية. وهكذا يكتمل هذا الاتجاه بشقيه الظاهراتي والتأويلي حين يتم دمج أفكار وتصورات ورؤى المريد مع رؤية الباحثة وتحليلها، فيتم الاعتماد على التفسير وتفسير التفسير أي التأويل. وكان هذا التكامل النظري بين هوسر وجيرتز بمثابة إضافة نظرية للبحث الحالي.

رابعاً: الإطار المنهجي للبحث :

يصنف هذا البحث ضمن البحوث الوصفية التحليلية ، واقتضت طبيعة البحث من حيث موضوعه وأهدافه الاعتماد بشكل أساسي على المزاوجة بين عدة مناهج، وهي : المنهج الأنثروبولوجي بأدواته المختلفة، ومنهج دراسة الحالة، ومنهج التحليل الفينومينولوجي التأويلي.

حيث تم استخدام أدوات المنهج الأنثروبولوجي المختلفة من مقابلة، وملاحظة، وملاحظة بالمشاركة، وإخباريون في دراسة الطريقة الصوفية، ومعرفة خصائص المريدين، وكذلك في التعرف على الأبعاد التي تساهم في تكوين رؤيتهم لذاتهم وللآخر، وأيضاً في الكشف عن طبيعة العلاقات والتفاعل بين

[١] كليفورد جيرتز،تأويل الثقافات،ترجمة:محمد بدوي،مركز دراسات الوحدة العربية،القاهرة،٢٠٠٩،ص٩٩

المريدين داخل الطريقة الصوفية، والكشف عن سلوكهم وممارساتهم واتجاهاتهم داخل الطريقة وفي الحياة الاجتماعية عموماً

وقد أجريت دراسة الحالة على ثمانية عشر حالة من مريدي الطريقة البرهانية الدسوقسة الشاذلية، اختيرت بطريقتين: أولاً من خلال أسلوب كرة الثلج، فمن خلالها تمكنت الباحثة من الوصول إلى مفردات العينة في بادئ الأمر؛ حيث كانت كل حالة تأتي بحالات أخرى وتوصل الباحثة إليها أو ترشحها لها، ثم بعد ذلك عن طريق الأسلوب العمدي، حيث كانت الباحثة تنتقي من بين هذه الحالات ما تتناسب خصائصها وظروفها مع أهداف الدراسة، مع مراعاة تنوع الحالات في عدد من الخصائص والأبعاد وهي(النوع-العمر-التعليم-المهنة-الطبقة-مدة الالتحاق بالطريقة-وغيرها)، وقد تم تقسيم الحالات إلى مجموعتين :

أ- **المجموعة الأولى** : حالات نشأت في أسرة صوفية تابعة للطريقة البرهانية، وانتسبت للطريقة فيما بعد، وعددهم ٨ حالات.

ب-**المجموعة الثانية** : حالات لم تنشأ في أسرة صوفية تابعة للطريقة البرهانية، وتعرفت على الطريقة بطرق مختلفة وانتسبت لها، وعددهم ١٠ حالات.

وقد تم جمع المادة الميدانية الخاصة بدراسة الحالة من خلال دليل العمل الميداني، فضلاً عن المقابلات المتعمقة والملاحظة ، واشتمل دليل دراسة الحالة على خمس محاور أساسية وهى:

المحور الأول: البيانات الأساسية للحالة، ويشمل(النوع-العمر-المؤهل التعليمي-المهنة-المستوى الطبقي-مدة الالتحاق بالطريقة).

المحور الثاني: كيفية الالتحاق بالطريقة والخلفية الصوفية للحالة، وتتضمن ٦ أسئلة.

المحور الثالث: رؤية الحالة للعالم، وما تتضمنه هذه الرؤية من (رؤية الذات-رؤية الآخر-معتقدات وقيم)، وتتضمن ٢٤ سؤالاً.

المحور الرابع: السلوك والتفاعل داخل الطريقة الصوفية، وتتضمن ١٠ أسئلة.

المحور الخامس: الاتجاهات والسلوك في الحياة الاجتماعية عموماً، وتتضمن ١٥ سؤالاً.

خامساً :أهم نتائج البحث:

وقد خلصت الباحثة إلي بعض النتائج الهامة فيما يخص:

أولاً: كيفية الالتحاق بالطريقة البرهانية والخلفية الصوفية للحالة:

أوضحت النتائج الخاصة بكيفية التحاق الحالات بالطريقة أنه يوجد مجموعتين من الحالات، **المجموعة الأولى** وهي الحالات التي نشأت في أسرة صوفية منتسبة للطريقة البرهانية؛ حيث أن إحدى الوالدان منتسبان للطريقة أو كليهما، وقد انتسب الأبناء(الحالات) فيما بعد، وعددهم ٨ حالات، وجميعهم من الشباب من الجنسين (٥ ذكور-٣ إناث)، وتتراوح أعمارهم ما بين (٢٢-٣٨) سنة. أما **المجموعة الثانية** فقد ضمت الحالات التي لم تنشأ في أسرة صوفية تابعة للطريقة البرهانية، ولكنها تعرفت على الطريقة البرهانية بطرق مختلفة ومتعددة وانتسبت إليها، وعددهم ١٠ حالات، فكان منها من انتسب للطريقة من خلال أحد الأصدقاء المقربين وعددهم حالتين، أو من خلال أحد الزملاء في العمل وعددهم ثلاث حالات، أو عن طريق أحد الجيران وعددهم ثلاث حالات، أو عن طريق الزوج نفسه وعددهم حالتين، فكان عددهم ١٠ حالات من الجنسين (٤ ذكور-٦إناث)، ومن أعمار وأجيال مختلفة (٢٧-٧٠) سنة.

ولقد **بينت النتائج** أن حالات المجموعة الأولى جميعهم نشئوا في جو صوفي وأسرة تابعة للطريقة البرهانية، فكان ذلك له أثراً كبيراً على تربيتهم وحبهم للتصوف منذ نعومة أظافرهم، حيث أثر أسلوب وطريقة تربية الوالدين عليهم، وكذلك نمط الحياة لديهم على اتجاهاتهم، وتؤكد ذلك بعض الحالات وتقول **" أنا اتولد لقيت نفسي جوة الطريقة وبحب الطريقة والتصوف"، "أنا أتولد في الطريقة وعيلتي كلها في الطريقة، فشربت حبها"، "بشكل مبدئي أقدر أقول إني أخدت الطريقة بالوراثة من أهلي"، "كان دايما بابا بياخدني معاه وأنا صغير الحضرة والموالد ونزور سيدنا الحسين والأولياء كلهم"، "بابا كان حريص انه ياخدني الحضرة كل أسبوع معاه لحد ما كبرت وبقيت أحب أروح لوحدي".** وتؤكد جميع حالات **المجموعة الأولى** أن انتسابها للطريقة جاء **أولاً** عن طريق الحب الوراثي والنشأة الصوفية ونمط وأسلوب الحياة التي وجدوا ونشأوا فيها، ثم **ثانياً** عندما أصبحوا في سن أكبر وقادرين على الوعي والاختيار وتحديد مسار حياتهم، أكدوا انتسابهم للطريقة بكل قناعة وثقة في الاختيار، فمنهم من حاول أن يثقف نفسه في التصوف وبدأ يقرأ الكثير من الكتب في التراث الصوفي، ومنهم من اقتصر على معرفة أمور الطريقة والاطلاع على تراثها الصوفي فقط، وكل من الفريقين بات مُنتسب للطريقة بكل حب وقناعة أي القلب والعقل معاً وبدون أي شكوك أو تذبذب في العقيدة.

وقد لاحظت الباحثة مدى تأثير المحيط الأسري والتنشئة الصوفية والجو الصوفي على حالات هذه المجموعة، وتفاعل الحالات مع محيطها وما به من اتجاهات، وتأثرها به وتعمقه في وجدانها منذ الصغر، مما أدى إلى تشربهم لذلك الاتجاه وارتباطهم به وحبه وتأثرهم به، كما يجب أن لا نغفل أيضاً قدرة الحالات فيما بعد علي اتخاذ قرار الانتساب للطريقة بكامل وعيها وقناعتها ورضاها بدون إجبار أحد لها على ذلك، وكذلك موقف أغلبهم بالرغبة في القراءة والاطلاع على التراث الصوفي لكي يطمئن ويزداد يقينه، ويثبت بالعلم صحة وصواب قراره. وتؤكد ذلك بعد الحالات بقولها **"لما كبرت وفهمت حبيت الطريقة أكتر وبقيت مريد بجد وعن قناعة"، "لما قابلت أنواع فكر كتير بقيت عايز أعرف الدنيا ماشية ازاي،فقرات في التصوف كتير، وده زدني قناعة وثبات على فكري واتجاهي وطريقتي"، "الواحد في الأول شرب حب الطريقة وبعد كدة بقي عندة يقين بصحة الطريقة واليقين بيزداد مع الوقت ، من مواقف وحاجات بتحصل مع الواحد بتأكدله يقينه وبتثبت عقيدته"، "لما كبرت وفهمت ابتديت أقرأ في كتب للمتصوفين المشهورين،فقرأت كتاب الشيخ الشعراوى "أنا من سلالة آل البيت" ومن يومها وأنا عقيدتي قوية".**

ولقد **بينت النتائج** أن حالات **المجموعة الثانية** الذين انتسبوا والتحقوا بالطريقة البرهانية من خلال عدة طرق متعددة ومختلفة، أن جميعهم أكدوا أن لديهم أصول صوفية قديمة ترجع للجدود أو الجدات، ولكنهم لم يكن يعرفوا عنها شئ أو عن الطريقة البرهانية من قبل، ولكنهم عندما صادفهم التعرف على الطريقة أبدوا حباً وميلاً للتعرف عليها أكثر ومعرفتها عن قرب، وشعروا تجاهها بالطمأنينة والراحة النفسية والأمان الداخلي مما جعلهم ينتسبون لها ولا يعترضون، إلا حالة واحدة منهم أبدت الشك والمعارضة في الطريقة عندما تعرفت عليها، وخصوصاً عندما انتسب لها أخاها الأصغر، فكانت غير راضية عن انتسابه. ولكن مع الوقت حصل معها بعض الأمور من رؤى ومشاهدات وتجربة شخصية أدت بها بالنهاية إلى الإيمان بالطريقة والتسليم بصحتها والانتساب لها. وتقول**"أنا كنت ملتزمة دينيا من صغري والحمد لله وحفظت القرءان وبحاول أطبق الشريعة في كل أمور حياتي فكنت شايفة نفسي صح ومفيش أصح من اللي أنا بعمله ومش محتاجة طريقة ولا شيخ، وكنت بشوف إخواتي ماشيين في**

طريق غلط". وتقول كذلك **"وفي مرة أخويا جالي وقالي أنا شفتلك رؤية ان انتي هتدخلي الطريقة، فقولتله هو انت بتشتغلني عشان أدخل طريقتكم دي، انا برضه مش داخلة".**

ثانياً: رؤية العالم لدى المتصوفة(المريدون): (رؤيتهم لذاتهم-رؤيتهم للآخر-معتقداتهم وقيمهم):

أ-رؤيتهم لذاتهم:

أوضحت النتائج الخاصة برؤية الحالات لذاتهم أن أغلبهم يروا أنفسهم بشر عاديون لا يميزهم شئ عن غيرهم سوى أمرين، وهما: حب آل البيت وودهم، و مداومة الذكر والأوراد، ومَثَّل ذلك عدد كبير من الحالات بنسبة ٩٨%. وتنوع شعور الحالات من جراء الانتساب للطريقة ما بين الطمأنينة والراحة النفسية، والفخر والرضا،والآمان والحفظ، والامتنان لله عز وجل، والخوف أحياناً من التقصير، إلا أن الشعور الغالب عليهم هو الامتنان لله عز وجل لأنه أنعم عليهم بالانتساب لهذه الطريقة، لأنهم يروا أن هذا فضل من الله ونعمة عظيمة دون استحقاق.

وبينت **النتائج** أيضاً أن انتسابهم للطريقة أضاف لهم عدة مميزات، منها أنها جعلت للبعض قدوة و مثلاً أعلى يحتذي به في حياته وهو شيخ الطريقة أو المرشد كما ذكرت بعض الحالات، ومنها ما جعلته أكثر التزاماً من الناحية الأخلاقية والدينية، ومنها ما جعلته أكثر اطمئناناً في الحياة وأكثر صفاءً وتسامحاً وأقل عصبيةً.

واختلفت الحالات حسب ما كان من تأثير الانتساب للطريقة على حياتها إلى ؛ **الفريق الأول** وهو الذي نشأ في أسرة صوفية، وهم لا يلاحظون أو لا يستشعرون اختلاف قوى في حياتهم أو شخصيتهم من جراء الانتساب للطريقة، لأنهم بالفعل نشئوا وتربوا في هذا المناخ والجو الصوفي منذ الصغر. أما **الفريق الثاني**؛ والذي لم ينشأ في أسرة صوفية، فقد لا حظ الفرق والاختلاف ووجده قوياً على حياته وشخصيته.

وبالنسبة لرؤيتهم للصوفيين عموماً، أوضحت النتائج أنهم ينظرون للصوفيين نظرة تقدير واحترام، ويرون أنهم يتمتعون بالصفاء والنقاء ولين القلب والمحبة الخالصة لوجه الله، بدون أي مصالح أو مكاسب أو أي أغراض آخري، فهم يقصدون وجه الله في أغلب أمورهم وحياتهم كلها. وعلى الرغم من ذلك أكدوا أن الصوفيون مثلهم مثل باقي البشر بهم الصالح وبهم أصحاب العلل، ولكن أغلبهم من عباد الله الصالحين.

ب- رؤيتهم للآخر:

تنقسم رؤيتهم للآخر إلى: رؤيتهم(لغير المتصوفين- لجماعة الإخوان المسلمين- للسلفيين- للمسيحيين)

١-رؤيتهم لغير المتصوفين عموماً:

أوضحت النتائج أن أغلب الحالات ترى أن الآخرين غير المتصوفين بشر يؤمنون بالله وربما يكون بعضهم أفضل من المتصوفين عند الله، ولكنهم يروا أن الآخرين غير محظوظين وغير موفقين في الحصول على هذا الفضل وهذه النعمة وهي التصوف والانتساب للطريقة الصوفية. ويرى البعض أنهم محرومون من نعمة مداومة ذكر الله والأوراد ومحبة آل بيت النبي (ص) وودهم وزيارتهم. وترى بعض الحالات أن الآخرين يمكن أن يكونوا عرضة للفتن والمعاصي أكثر من الصوفيين، ويمكن أن ينزلقوا للتيارات الدينية المتشددة وتؤثر عليهم بسهولة عكس الصوفيون، لأن الصوفيون لديهم نظام في العبادة، ولا يقتصرون على أداء الفروض بل لديهم أذكار وأوراد، وأن هذه العبادات تخص القلب فتجعله يرى بنور الله وتجعل لديهم بصيرة. وترى أغلب الحالات أن الآخرون ليس لديهم الروحانيات والصفاء ونور

القلب الناتج عن الذكر. وتؤكد بعض الحالات على أن التعامل بين البشر (غير الصوفيون) يقوم على أساس تحقيق المصالح المشتركة وأغراض لكلا الطرفين، ولكن التعامل بين الصوفيون وخاصةً بين المنتسبين للطريقة البرهانية، يتم على أساس المحبة والصفاء ، وهي محبة خالصة لوجه الله وبدون أي أغراض أو مصالح دنيوية.

وبينت النتائج أن أغلب الحالات تتعامل مع الآخر المختلف عنها ليس على أساس انتمائه الديني، وإنما على أساس المعاملة والأخلاق والشخصية عموماً، ولا يضعون الانتساب للطريقة مقياس في تعاملاتهم مع الناس أبداً.

٢-رؤيتهم لجماعة الإخوان المسلمين:

أوضحت النتائج أن الحالات انقسمت إلى نوعين: **النوع الأول** هو من تعامل بالفعل مع أفراد هذه الجماعة بطريقة مباشرة وعن قرب وحدث تفاعل بينه وبينهم، وكان نتيجة لذلك التعامل والتفاعل تَكَوُن صورة غير جيدة عنهم نتيجة أفعالهم ومعاملتهم السيئة. **والنوع الثاني** من لاحظهم عن بعد وكَون هو الآخر صورة عنهم ولكن لم يتفاعل معهم عن قرب. وعن **رؤية** من تعامل بالفعل مع هذه الجماعة، فهم يروا أنهم جماعة ليس لديهم رحمة بالناس أو بخلق الله، ولا يوجد عندهم لين في التعامل أو سماحة بل جامدون، وليس لديهم إيمان حقيقي لكنهم يقتصرون الدين في الشكليات والمظاهر والعبادات الظاهرية فقط، وليس عندهم حُسن المعاملة ولا حُسن الجيرة، وأنانيون ويحبون مصلحتهم فقط ومصلحة جماعتهم فقط، ولا يفعلون شيئاً خالصاً لوجه الله بل لمصلحتهم الدنيوية، وهم أهل دنيا ويجرون ورائها. وعندهم نظرة تشاؤمية للحياة عموماً، ولديهم كآبة ولا يعرفون كيف يستمتعون بالحياة بل ويحرمون الكثير بغير وجه حق. **أما عن رؤية** من لم يتعامل معهم ولاحظهم عن قرب، فهم يروا أنهم جماعة لديها فهم خاطئ للدين وأن المنتسبين إليها يعتقدون أن هذا هو الإسلام الصحيح، فهم موجهون بغير وعي من قبل قادة الجماعة، وأن هؤلاء القادة يستخدمون هؤلاء الأتباع من أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية، ومن أجل السيطرة وأخذ الحكم والسلطة، وتحقيق أطماعهم وأهدافهم التي ليس لها علاقة بالدين. فهم ماكرون وخادعون ومنافقون ومراوغون.

٣-رؤيتهم للسلفيين:

أوضحت النتائج أن أغلب الحالات يوصفون السلفيين عموماً بأنهم جماعة متشددة، منهم من يلتزم بالسنة بدون تشدد ومنهم من يتشدد بعنف، وأن علمهم محدود ومعرفتهم قاصرة. وترى معظم الحالات أن السلفيين متعصبون وأن المتشدد منهم يسئ إلى الإسلام ويشوه صورته أما الآخر غير المسلم، وهم يستحلون دم الغير ويفسرون كلام الله بتعصب وانحياز. وأنهم دائماً في صدام مع الصوفية، ولا يحبونهم ويُحَرِمون معتقداتهم وينكرون عليهم محبة آل البيت وودهم. ويحاولون أن يقصروا الدين على زمن معين وشكل معين.

٤-رؤيتهم للمسيحيين:

أوضحت النتائج أن معظم الحالات لديهم معارف وجيران وأصدقاء من أصحاب الديانة المسيحية، وعلاقتهم بهم طيبة جداً، واغلب هذه العلاقات علاقة جيرة تسودها الود والمحبة والخير. وبينت النتائج أيضاً أن هناك بعض الحالات لا تفضل التوغل والتعمق في الصداقة مع المسيحيين، وتقتصر على المعرفة السطحية بدون توغل وتعمق في العلاقة، وكانت أسبابهم في ذلك الراحة النفسية وميولهم

الفطري في عدم الرغبة في ذلك. ولكن تبين للباحثة أسباب آخرى، وهي اعتقاد البعض منهم في أن المسيحيين يستخدمون السحر في الكنيسة.

ج المعتقدات والقيم الخاصة بالمريدين:

أوضحت النتائج أن المريدين لديهم مجموعة من المعتقدات والقيم والأفكار التي تربطهم، ويشتركون في الاعتقاد بها، وقد تم تقسيمها إلى مجموعة عناصر، وهي:

١. شيخ الطريقة:

أكدت جميع الحالات أن شيخ الطريقة له مكانة خاصة ومنزلة كبيرة في نفوسهم جميعاً، وأنه يمثل لهم القدوة الصالحة، ويعتبرونه الخليفة لهذا الزمن وصورة عن سيدنا النبي(ص)، ووارثه وخليفته في هذا الوقت وهذا الزمن. ويؤكدون على اعتقادهم بأنه وارث نور النبوة والعلم من سيدنا النبي(ص)، وأنه الموجه والمُعلم السائر بهم إلى طريق حب الله وحق معرفته وحب النبي وآل بيته. كما **أوضحت النتائج** أيضاً عن تباين وتنوع شعور المريدين تجاه شيخ الطريقة، فمنهم من كان يشعر تجاهه بالامتنان والحب والتقدير، ومنهم من كان يشعر بالرهبة مع الحب والهيبة والاحترام، ومنهم من كان يعظمه لدرجة التقديس ولكن بعد الله عز وجل. **وتبين أيضاً** أن شيخ الطريقة يمثل لأغلب الحالات الحياة بأكملها، حيث يعتبرونه السند والأهل والحمى والأب والمربي الروحي لهم، حيث يذكر بعضهم ويقول **" الشيخ هو كل حاجة في حياتي"، " هو أبويا وأهلي وسندي"، "هو النعمة اللي ربنا أنعم عليا بيها"، "هو الأمان وطوق النجاة في الدنيا والآخرة"، "هو أبويا الروحي"، "مولانا الشيخ محمد حاجة كبيرة أوي"، "هو ولي وإمام الزمن والوقت ده".**

وقد لاحظت الباحثة مدى أهمية شيخ الطريقة للمريدين، ومدى حبهم وإيمانهم به وبولايته، وتبين أن هذا الحب والإيمان والتسليم بولايته لا يأتي من فراغ ولا عن طريق الصدفة، وإنما هو ناتج عن شعور داخلي وروحانيات عالية أتت من خلال مواقف، وأحوال، وتجارب، ورؤى، ومشاهدات للمريدين خلال مسيرتهم في الطريق الصوفي، فبالتالي تكونت عندهم عقيدة قوية في الشيخ، وهذه العقيدة يتم تثبيتها وإرساء دواعمها وترسيخها يوم بعد يوم، وتزيد بطول مدة الالتحاق بالطريقة، وبإخلاص المريد في سيره في الطريقة.

وبالنسبة لطاعة الشيخ، أوضحت النتائج أن الحالات انقسموا لفريقين؛ **الفريق الأول** وهو الذي يسلم له في الأمور الدينية والدنيوية، **والفريق الثاني** هو الذي يسلم له في الأمور الدينية فقط، ولكن كانت النسبة الأكبر من يسلم له في الأمور الدينية فقط، نظراً لأن الشيخ لا يتدخل في الأمور الدنيوية للمريدين، بل من يريد المشورة في أمر ما يذهب للمرشد، وهو (النائب عن الشيخ) لأخذ مشورته من باب الثقة به وتبين حكمته وبصيرته، ولأن التواصل مع شيخ الطريقة لا يتم بطريقة مباشرة نظراً لعدم استقراره في مصر. **وبينت النتائج** أن كل الحالات تتواصل مع شيخ الطريقة من خلال "الفواتح"؛ بمعنى أن يتم قراءة سورة الفاتحة مرة والصمدية ثلاث مرات مع استحضار صورة الشيخ، وعندها يحضر الشيخ بروحه ويكون مع المريد، ويستطيع المريد آنذاك أن يستخيره في أي أمر أو يطلب منه النصح أو التوجيه في أي شئ يريده.

٢. حُب آل البيت والأولياء والصالحين والتبرك بهم:

أظهرت النتائج أن كل الحالات يعظمون ويقدرون ويحبون آل البيت والأولياء والصالحين، ويتبركون بهم، ويعتبرونهم أفضل خلق الله بعد سيدنا النبي (ص)، ولديهم عقيدة بأن زيارتهم وودهم وحبهم واجب

وله فضل عظيم، ويؤكدون على أن الدعاء في مقاماتهم مُستجاب لأنه مكان طاهر وبه ولي، ويدللون على ذلك بآيات من القرءان الكريم وأحاديث شريفة وهي: "آلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، "قُل لا أسألكم عيه أجراً إلا المودة في القربى" من عاد لي ولياً أذنته بالحرب"، "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي وأهل بيتي".

٣. الحسد والسحر:

تؤمن جميع الحالات بوجود الحسد والسحر، وتؤكد على ذلك بذكرهما في القرءان الكريم، ولكنهم يؤكدون جميعهم أن الأوراد وذكر الله والحضرة تحفظهم من كل هذا، ويؤكدون على أن أولاد الطريقة مؤمنون من قبل السحر ولكنهم معرضون للحسد، والتزامهم بالأوراد يحميهم ويحفظهم. وبينت النتائج أن بعض الحالات قد تعرضت للحسد من قبل.

٤. الاقتناء بحجاب أو حرز للحفظ:

أكدت كل الحالات أنه يوجد في الطريقة أحجبة للحفظ، ولكنهم أجمعوا على أن الحافظ الأول هو الله ومن بعده الأوراد والحزب السيفي والحضرة . واختلفت الحالات فيما بينها من حيث اقتناءها للحجاب، فمنهم من يقتنيه للتبرك، ومنهم من لا يقتنيه ويكتفي بأوراده. والبعض يرى أن كتاب الأوراد ذاته والمسبحة ذاتها حفظ للمريد، وأن اقتناءهم دوماً حماية للمريد من أي سوء أو أي شر. ومنهم من يرى أن اقتناء صورة الشيخ حماية له. وتبين أيضاً وجود شئ آخر اسمه " البخارات" وهي تستخدم في حالة إذا شعر المريد أن حسد شديد قد أصابه، والبخارات عبارة عن ورقة مكتوب بها آيات قرءان معينة وأوراد معينة وبخور، وتُغلف مع بعضها على شكل مثلث، ويتم حرقها للتبخر بها في حالة إصابة المريد بالحسد الشديد، وقد استخدمتها بعض الحالات بالفعل وتم صلاح أمورها كما تذكر.

المراجع

أولاً:المراجع العربية:

١. أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٩٩، ص ١٢.

٢. إدموندهوسرل،فكرةالفينومينولوجيا،ترجمة:فتحيإنقرو،المنظمةللترجمة،بيروت،لبنان،٢٠٠٧، ص٣٢.

٣. السيد حافظ الأسود ، الأنثروبولوجيا الرمزية : دراسة نقدية مقارنة للإتجاهات الحديثة فى فهم الثقافة وتأويلها ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢ .

٤. حوليات كلية الأداب، الاتجاه نحو الدين، الحولية الثانية عشر، الرسالة السابعة والسبعون، مجلس النشر الصحفي، جامعة الكويت، ١٩٩١، ص٢٨

٥. زكريا سليمان، الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة،ط١، ١٩٩٠، دار الصحوة، القاهرة، ص١٧٨.

٦. شارلس هس،باتريشياليفي،البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية،ترجمة:هناء الجوهري،طبعة اولى،٢٠١١،ص٢٦٧.

٧. محمد علي محد،علم الاجتماع والمنهج العلمي:دراسة في طرائق البحث وأساليبه،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،١٩٨٣،ص٣٩٣.

٨. كليفورد جيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة:محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩،ص٩٩.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Geertz, The Interpretations of culture,Basic Book,1973.p.56.

2. Gorden,J.Direnzo,Human social Behavior.consepts and principles,1990,p29.

3. Lyotard,jean- francois la phenomenology- presses universitaires- paris- 1961- 34

4. Marvasti,Amit B.2004.QualitativeResearch in socity,London,Thousand oaks,New Delhi:SAGE Publications.

5. Swatos,JR.William.H,Encyclopedea of Religion and society,London,1998,p36.

ملخص البحث باللغة العربية:

يتناول موضوع البحث رؤية العالم لدى المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية، وتأثير هذه الرؤية على سلوكهم واتجاهاتهم داخل الطريقة الصوفية، وفي الحياة الاجتماعية الأكبر. وقد تم الانطلاق من عدة مداخل نظرية وهي، الاتجاه الفينومينولوجي، والاتجاه التأويلي لجيرتز، والاتجاه التفاعلي الرمزي، وذلك لخدمة أهداف البحث. كما تم الاعتماد على المزاوجة بين عدة مناهج وهي، المنهج الأنثروبولوجي بأدواته، ومنهج دراسة الحالة، ومنهج التحليل الفينومينولوجي التأويلي.

ولقد سعينا في هذا البحث إلى الكشف عن رؤية العالم لدى المنتسبين للطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، والكشف عن تأثيرها على سلوكهم واتجاهاتهم داخل الطريقة، وخارجها في الحياة الاجتماعية الأكبر، وذلك من خلال تحليلنا لمجموعة من المحاور الرئيسية، وهي:

١. كيفية التحاق المريدين بالطريقة، والخلفية الصوفية لهم.
٢. رؤية العالم لدى المريدين، وتشمل (رؤيتهم لذاتهم- رؤيتهم للآخر- معتقداتهم وقيمهم).
٣. سلوكهم وتفاعلهم داخل الطريقة الصوفية.
٤. اتجاهاتهم وسلوكهم في الحياة الاجتماعية الأكبر(التعليم-العمل-الزواج-الصُحبة-وسائل الترفيه-المرأة-العمل التطوعي-الاحتفال بالأعياد-الزى) .

ABSTRACT

Research subject deals with vision of the world by followers of one of the Sofi sects, influence of that vision on their behaviors and trends inside the Sofi sect and in the social life. The research starting off from several theoretical entries including phenomenological trend, interpretation trend to (Geertz), symbol interactive trend in order to serve research objectives. Also, the research depends on pairing many methodologies including anthropology with its articles, methodology of case study, methodology of interpretational phenomenological analysis.

In this research we looking for uncover vision of the world by followers of Al-Burhanya, Al-Dosogya, Al-Shazalya Sofi sect, exploring vision influence on their behaviors and trends inside the sect and outside in the social life, through analysis some of main axis:

(1) How the followers join the sect and their Sofi background.

(2) Vision of the world by the followers including their vision to themselves, their vision to the other, their beliefs and values.

(3) Their behaviors and interactions inside the Sofi sect.

(4) Their trends and behaviors in the social life (Education, work, marriage, friends, recreation means, woman, voluntary work, celebration of Feast -Eid, fashion) .